أثر نهج البلاغة في شعر ناصر خسرو

(دراسة في مستويات التعبير الأدبي)

المدرس الدكتور

علي مجيد البديري

(جامعةالبصرة – كليةالآداب)

أثر نهج البلاغة في شعر ناصر خسرو

(دراسة في مستويات التعبير الأدبي)

المدرس الدكتور: علي مجيد البديري

(جامعةالبصرة – كليةالآداب)

مقدمة:

تحاول هذه الدراسةُ التوقفَ عند تجليات التأثر بنصوص نهج البلاغة لدى الشاعر الإيراني ناصر خسرو (١٠٠٤ – ١٠٨٨)، في موضوع الحكمة والأخلاق الذي اشتُهِر به وعُرف لديه، بوصفه غرضاً أثيراً قلَّ أنْ تخلو قصائدُه منه.

وقد اقتضتْ معالجةُ هذا الموضوع التعريفَ بالشاعر، وبالسياق الثقافي الذي عاش فيه وتأثر بمكوناته بشكلٍ موجزٍ وسريع، فهو شخصيةٌ شديدةُ الصلة بمحيطها ؛ و قد جعل منه هذا الالتصاق بالواقع شاعراً تتجاوز فاعليةُ حضورِهِ مكانَه وعصرَه.

لينتقل البحثُ بعد ذلك إلى معاينة التحولات الأسلوبية التي طرأتْ على (جملة) الحكمة، وهي ترتحلُ من سياق النثر الفني (في نصوص النهج الشريف) إلى سياق الشعر، حيث تكتسب سماتٍ نوعيةً جديدةً ، ذاتَ طبيعةٍ خاصةٍ.

على أنَّ هذا التحول الأسلوبي للجملة لم يتم بشكل انتقالةٍ مقطوعةِ الصلة عن سياقها الأول في نصوص النهج، لما لِلُغةِ هذه الأخيرة من مزايا شعرية عالية جعلتها أكثر قرباً من جماليات الشعر.

ولأجل تحقيق ذلك كان على الدراسة أنْ تتخذ منهجاً مقارناً يفيد ــ بطريقةٍ توليفيةٍ ــ من معطيات المدرستين الفرنسية والأمريكية في الأدب المقارن. فجاءت عناية الدراسة موزعةً ــ بشكلٍ متوازنٍ نوعاً ما ــ بين معاينة البعد الخارجي (التاريخي) لعلاقة التأثير والتأثر هذه، وبين تأمل تجليات العلاقة في داخل النصوص ضمن البعد الداخلي (الفني).

ناصر خسرو: شيء عن عصره وثقافته

هو شاعر وكاتب ورحالة، ولد في قباديان عام ٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م، و نشأ فيها، وسط أسرة متوسطة الحال، متثقفاً ثقافة واسعة، إذ تلقى في مطلع عمره العلوم الشائعة في زمانه، وقد

اتسمت الفترة التي عاش فيها بالاضطرابات السياسية العنيفة والتراعات الاقتصادية والعرقية والجدل الديني.[1]

إن شخصية خسرو وشاعريته واهتمامه بمحيطه، أكسبه أهمية عالمية تجاوزت حياته وعصره. على أن هناك من قلل من الأهمية الجمالية لشعره، و في الوقت ذاته عدّه البعض واحداً من أعظم شعراء الأدب الفارسي الكلاسيكي، أو شاعراً فيلسوفاً ؛ نظيراً لأبي العلاء المعري. وقد مارس خسرو دوراً رائداً في تطوير النثر الفارسي و أساليبه مضافاً إلى إسهاماته في مجال الفلسفة واللاهوت الإسماعيلي.

إن أحدى الموضوعات المهيمنة في شعر ناصر خسرو هو وضع الإنسان ومكانته في الكون. كما أن شعره الذي يرتكز إلى رؤيته اللاهوتية والفلسفية كان مفعماً بتأمل الطبيعة الإنسانية وقدراتها الخلاقة.

فهو يعد الإنسان ذروة الخلق والعتبة إلى العالم الآخر، على إن هذه الامتيازات ــ في رأيه ــ لم تعفُ الإنسان من الهدف

---

١ . ينظر: بركزيده قصايد ناصر خسرو: د. غلام محمد طاهري مباركه، سازمان مطالعه وتدوين كتب علوم إنساني دانشكاه (سمت) ـ تهران، ١٣٨٢ ش،:١٣.

الأخلاقي لوجوده والمسؤولية عن أفعاله أمام الله، و أمام جميع المخلوقات أيضاً.

ويرى ناصر خسرو أن الفضيلة والفكر اللذين جعلا الإنسان سيداً على الحمير هي ذاتها الخصال التي جعلت منه عبداً لله القدير.[١]

وعندما بلغ الثالثة و الأربعين من عمره، سافر إلى مكة المكرمة. وخلال رحلته الطويلة إليها مرّ بعدة مدن، مكث في بعضها طويلاً، و أدى في مكة فريضة الحج. ومن هناك استمر في رحلته، مدوّناً مشاهداته عن تلك البلدان. وكانت أطول إقامة له في القاهرة، حيث أقام قرابة ثلاث سنوات، وفي عام٤٤١هـ غادر مصر ليزور مكة، وبعد أدائه الحج، غادرها عائداً إلى وطنه إيران سنة ٤٤٣ هـ بعد أن مرّ بعدة مدن منها البصرة إذ مكث فيها شهرين، ليغادرها منهياً رحلته أخيراً في بلخ وذلك سنة ٤٤٤هـ.[٢]

---

١ . ينظر: المصدر السابق:١٥.

٢ . ينظر: سَفر نامه: ناصر خسرو علوي، تر: د. يحيى الخشاب، تصدير د. عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة، ١٩٩٣ (المقدمة): ٣٨.

وفي خلال هذه الرحلة التي استغرقت زهاء سبع سنوات، واجه ناصر خسرو الكثير من الأحداث والصعاب. إلا أن ما كان لـــه الأثر البالغ في حياته هو تأثره الكبير بشخصية الخليفة الفـــاطميّ في مصر، حيث اعتنق المذهب الإسماعيلي.

وعند عودته إلى بلخ بدأ يدعو إلى المذهب الإسمـــاعيلي بشـــكل علني، ويناقش ويناظر فيه العلماء والفقهاء في عصره.

وقد واجه ناصر خسرو تضييقاً واضطهاداً من قبل الســـلجوقيين اضطره إلى أن يتخفى في قلعة يمغان بالقرب من مدينة بدخشان، ويعتزل الناس، حتى وفاته سنة٤٨١هـــ.

وفي خلال فترة عزلته هذه انهمك ناصر خسرو في نظم الشـــعر، والتأليف، والتصنيف.[١]

أثر نهج البلاغة في شعر خسرو

لقد وفّر إتقان اللغة العربية، والإحاطة بجماليات الكتابـــة بهـــا، للشاعر ناصر خسرو، فرصة فائقة لتذوق نصوص نهج البلاغـــة، والإفادة من خصائصها ومزاياها الفنية الكبيرة فاللغة الفنية الـــتي استخدمها الإمام علي (عليه السلام) كانت تمتاز بمستوى عـــالٍ

١ . ينظر: الأدب الفارسي في أهم أدواره و أشهر أعلامه: محمد محمدي، منشورات طوس ـ طهران، ط٢، ١٩٩٥ : ٣٤.

من التكثيف، بشكل جعل منه[1] ا لغة جمالية محضة، تحتشد فيها الصور التشبيهية والتمثيلية والاستعارية والرمزية والاستدلالية، ولا تكاد تجد من بين آلاف المفردات والتراكيب فيها مفردة أو تركيباً خالياً من إيقاع ملحوظ، فضلاً عما هو مدهش ومثير في الجانب البنائي لنصوص النهج في مختلف مستوياته.

وتجلت آثار هذه القراءة المتذوقة لنصوص النهج في شعر ناصر خسرو، الذي عُرِف بهيمنة الطابع الأخلاقي والوعظي عليه، الأمر الذي عدَّه البعض ــ كما مرَّ بنا ــ خللاً كبيراً في شعر خسرو وشاعريته.

وإذا ما أردنا أن نلقي نظرة سريعة على واقع هذا اللون من الشعر في الأدب الفارسي، فإننا سنجده قد شهد ازدهاراً كبيراً منذ فترة مبكرة.

---

١ . ينظر: أدب الشريعة الإسلامية: د. محمود البستاني، مؤسسة السبطين (ع) العالمية ـ إيران، ط١، ١٤٢٤هـ: ١٣٧ ـ ١٣٨.

وقد يدخل هذا الموضوع الشعري ــ في رأي أحد البــاحثين ــ مع مجمل المؤثرات العربيــة الــتي تجلَّــت ملامحُهــا في الأدب الفارسي.[1]

وبعيداً عن الخوض في هذا الجدل الدائر حول مدى شعرية بعض المواضيع، ومقدار صلاحيتها للشعر، فإننا سننطلق مــن معاينــة النصوص الشعرية لخسرو التي نرى فيها تأثراً واضحاً بنصــوص نهج البلاغة، وفحص التحولات الطارئة على مستويات التعــبير الأدبي في نصوص النهج وهي ترتحل إلى فضاء جديد هو فضــاء الشعر، ونحاول أن نكشف عن التماثل أو التغاير الحاصل في هذه المستويات عبر مقارنة النصين (المؤثر والمتأثر) ببعضهما، حيــث يحمل المستوى الشعري سمات منها الإضمار للتعــبير وفيــه «لا يؤدي التعبير الذي يضمر معنى مــا أو وظيفــة الاختصــار، أو الإشارة إلى الغائب عن الظهور في السياق بما يدل على حضوره، وإنما يقوم في المستوى الشعري بتمثيله وتجسيد حركتــه وفعلــه

---

١ . ينظـر: فـي الأدب المقـارن دراسـات فـي نظريـة الأدب والشـعر القصصـي: د. محمـد عبـد السـلام كفـافي، دار النهضـة العربية ـ بيروت، ط١، ١٩٧١: ٥١٥.

بأسلوب مغاير لما يناسبه في المستوى الإبلاغي على سبيل المثال»[1]

ويتحقق عبر توافر عنصرين هما: الإخفاء حيث يستتر المعنى خلف ظاهر الكلمات في التعبير.

والإلماح: من خلال الإشارات التي تظهر على التعبير كاشفة عن جانب من المعنى المراد نقله وإيصاله إلى المتلقي.[2]

نقرأ للشاعر مقاطع من قصائد مختلفة يجمعها التأثر بنص مؤثر مشترك:

«وإن رُحب بك في هذا المنزل لا تبقى في هذا الزائل سيخرجك الرب منها وإن لم ترغب في الخروج منها بسهولة »[3].

وقوله:

«هذا العالم مركز الألم والغم والظلمات النور والبهجة ليست في هذا العالم»[1].

---

١ . أنساق التداول التعبيري، دراسة في نظم الاتصال الأدبي: د. فائز الشرع، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد، ط١، ٢٠٠٩: ٣٠٧.

٢ . ينظر: المصدر السابق: ٣٠٨.

٣ . ديوان أشعار حكيم ناصر خسرو قبادياني: تصحيح: مجتبى مينوي، مهدي محقق، دانشكاه تهران ـ تهران، مؤسسه انتشارات، ١٣٧٨: ٥٩.

وكذلك قوله:

«أحوال هذا العالم المتغير، متغيرة برد بعد الحـــر، وســـراء بعـــد الضراء»[٢].

وقوله:

«لما أصبحت سيداً في الدين والعلم صارت الدنيا بالنسبة لك ممراً اضطرارياً»[٣].

هذه النصوص من قصائد مختلفة في الديوان، تجتمع حول وصف الدنيا وتقلب أحوالها، وتحذر بطريقة غير مباشرة من الركون إليها والاطمئنان لمظاهرها الخادعة، ويأتي التعبير عن ذلـــك في هـــذه النصوص وفق مستوى إبلاغي مباشر تارة، وغير مباشـــر تـــارة أخرى.

فعلى وفق الحالة الأولى تأتي النصوص الثلاثة الأولى لتخبر بطريقة مختزلة عن حتمية الارتحال عن هذه الدنيا، سواء أحب الإنســـان ذلك أم كرهه.

---

١ . الديوان: ٣٦.
٢ . الديوان:٤.
٣ . الديوان:١٩.

على أن الوعي بحقيقة الدنيا كفيل بأن يجعل الإنسان كارهاً للبقاء فيها، غير مكترث بها، فهي موئـــل الآلام والظلمـــات، تتقلـــب أحوالها و تتبدل وجوهها من حال إلى آخر يناقضه، أما الســـعادة و النور ففي الآخرة دار البقاء.

ويعمد الشاعر في النص الأخير إلى اعتماد مستوى إبلاغي غـــير مباشر، من خلال بيان حال المخاطب الذي يبدو متحـــولاً مـــن وضع سابق، مسكوت عنه في النص، ولكنه يلمح إليه، إلى حال جديدة من التدين والمعرفة وامتلاك البصيرة النافذة، حيث تصير الدنيا ممراً ـــ لا مقراً ـــ إلى حياة الآخرة.

نجد هنا (في النص الأخير) أن الشاعر لجأ إلى إضمار معنىً لم يبُح به في التعبير الأدبي، ولكنه لم يهمله تماماً، إذ حث المتلقي علـــى استحضار الحال السابقة/ المضمرة للمخاطب عبر تقابل تمثيلـــي صنع شعرية النص، و أبعده عن المباشرة في الإبلاغ.

ويبدو واضحاً حضور نصوص النهج الكـــثيرة ـــ في ذم الـــدنيا وتصوير أحوالها ـــ في أبيات خسرو هذه، من ذلك قول الإمـــام علي (عليه السلام): «عباد الله، أوصيكم بالرفض لهذه الـــدنيا التاركة لكم و إن لم تحبوا تركها،... فإنما مثلُكم ومثلها كسَـــفْرٍ

سلكوا سبيلاً فكأنهم قد قطعوه، و أمُّوا علماً فكأنهم قد بلغــوه. وكم عسى المجري إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها»[1].

على أن خصوصية الإبلاغ في هذا المقطع من الخطبة (مقارناً مــع أبيات خسرو) يعتمد التقابل التمثيلي من غير إضمار، وهذا أمر عائد إلى شعور منشئ النص بضرورة البيان والإيضــاح وعــدم الإخفاء في الكشف عن حقيقة الدنيا، فيؤكد الإمام على عنصــر الزمن في الصورة التي يمثل بها لحال الدنيا، ويكون مثــل النــاس فيها كمسافرين بلغوا نهاية الطريق، ولم يبق لديهم وقت ينفق، أو غاية يقصدونها.

وقد جسد التساؤل (المجازي) في نهاية هذا الجزء معنى قصر الدنيا ونفادها بشعرية عالية، وتكثيف كبير.

ويمكن أن نقرأ في أبيات خسرو أيضاً أصداء هذه النصوص مــن النهج الشريف:

«فكونوا أبناء الآخرة، ولا تكونوا أبناء الدنيا، فإن كــل ولــد سيلحق بأمه يوم القيامة»[2]، وقوله (عليه السلام) واصفاً الدنيا: «

---

١ . نهج البلاغة: شرح الشيخ: محمد عبده، مطبعة كرم ومكتبتها ـ دمشق، د.ت: ج١/ ١٩١.

٢ . المصدر السابق:ج٩٣/١.

فهي تحفز بالفناء سكانها و تحدر بالموت جيرانها »[1]، و قولـــه في خطبة أخرى: « انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، الصـــادفين عنها. فإنها والله عما قليل تزيل الثاوي الساكن،..»[2].

وهكذا نجد أن هناك تماثلاً نسبياً في بعض المواضع من مســـتوى التعبير الأدبي مابين المؤثر(نصوص النهج) و ما بين المتأثر (أبيـــات خسرو) وبشكل لا يمكن معه إلغاء خصوصية التعبيرين، بـــل أن هناك بعداً آخر يتجلى في تأثير نصوص النهج في هذه الأبيـــات أزعم أنه يتمثل في استحضار منشئ النص المؤثر، كضـــرورة لا مفر منها، مهما حاول قارئ أبيات خسرو التغاضـــي عنـــها، أو حصر عنايته في مجال التركيب الداخلي للنص، وهو ما يـــرتبط بالمستوى الإنفعالي في التعبير، أي ما يتعلق بـــ « موقف المـــتكلم تجاه ما يتحدث عنه»[3] لا يمكن تجاهل حضور صورة الإمام علـــي (عليه السلام) و هو يجعل من قرص الشـــعير اليـــابس والملـــح

---

١ . المصدر السابق: ج١/١٠١.
٢ . المصدر السابق: ج١/١٩٧.
٣ . قضـايا الشـعرية: رومـان جاكوبسـون، تـر: محمـد الـولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، د. ت.: ٢٨ .

الجريش زاده اليومي، وثوبه التي استحيا من راقعها كفايته من الدنيا التي طلقها ثلاثاً.

ولا شك في أهمية ما يمنحه هذا الحضور للنص من قيمة تعبيرية إضافية توسع من مساحة فاعلية القيم الأخرى وتضاعف من تأثيرها الجمالي في المتلقي.

وكذا الأمر مع أبيات خسرو التي تستدعي صورة حياته التي عاشها في زمن التحولات السياسية والتقلبات الكبيرة، وانفق سنوات منها في الترحال، ومعاينة أحول الناس وثقافاتها في البلدان المختلفة، ويختمها بعزلة زاده فيها التأليف والكتابة.

وفي نص آخر، يتجلى فيه أثر حِكَم نهج البلاغة في تأمل الدنيا، يستمر الشاعر ناصر خسرو في حشد صور الزوال كلازمة للحياة الدنيا، بطريقة تظهر فيها ذاته واضحة، يقول:

«لا تغتر بالسلطان و إقبال الدنيا لأنها مقرونة بالزوال الدنيا معي كامرأة غير وفية لست مسروراً بالبقاء معها و لا أحزن لفراقها»[1].

يوظف الشاعر في هذا المقطع أساليب النهي والإخبار والتمثيل في تعبير تتماهى مستوياته الإبلاغية والانفعالية والشعرية، فهو

---

١ . الديوان: ١٨٠.

يعلل نهيه عن الوقوع في حبائل الإغترار بالدنيا لزوال سلطانها ومباهجها، ويقوده هذا الإخبار عن الزوال إلى صناعة صورة له، يعتمد فيها التقابل التمثيلي، فيجعل حالة الزوال مجسدة في صورة (امرأة / زوجة) (غير وفية / خائنة)، تهب نفسها للجميع وهي في الوقت ذاته حرة لا يملكها أحد. وهكذا تكون حركة الدنيا/ المرأة حركة سلبية في مقابل حركة الشاعرالإيجابية في النص، فهو يرفضها ويزهد بها، وتغدو عديمة القيمة والتأثير لديه.

ويبدو واضحاً تأثر خسرو في معاني أبياته هنا بنص من نهج البلاغة، يعتمد في الإمام علي (عليه السلام) أسلوباً حجاجياً قائماً على التساؤل الإنكاري التعجبي، الموجه لمريدي الدنيا والواقعين في حبائلها، يقول الإمام:

«ألستم في مساكن من كان قبلكم أطولَ أعماراً، و أبقى آثاراً وأبعد آمالاً، وأعدَّ عديداً، و أكثف جنوداً. تعبدوا للدنيا أي تعبد، وآثروها أي إيثار. ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلِّغ و لا ظهر قاطع. فهل بلغكم أن الدنيا سخت لهم نفساً بفدية، أو أعانتهم بمعونة أو أحسنت لهم صحبة»[1].

---

١ . نهج البلاغة: ج١/ ٢١٨ ـ ٢١٩.

يضع الإمامُ المخاطبَ هنا، أمام جملة من الحقائق التي يتغافل عن الالتفات إليها، بطريقة يتقصى فيها صفة الزوال والفناء، ويكرس تجلية وجوهها في واقع المخاطب وفي مفردات حياته اليومية، مستخدماً حجاجاً تقابلياً مقارناً، تكون فيه الحقائق شواهد ملموسة تعمل على تجسيد فكرة الزوال.

ويمارس الشاهد على الزوال في النص حضوراً فاعلاً ؛ حيث «لا تكمن الغاية منه فقط في تعويض المجرد بالملموس..... وإنما تكمن أساساً في تقوية الفكرة وتأكيد حضورها في الذهن »[1].

يجعل المقطع المجتزأ من الخطبة هنا من صورة تعاقب الأجيال الفانية، وبعض نماذج القوة والسطوة والسلطة وزوالها، مجسمة، ومتحركة أمام المتلقي، وفي ذلك ما يلبي حاجة المستوى الإبلاغي للتعبير في فن الخطبة، على أنه ليس بخافٍ تماهي المستوى الانفعالي معه.

لقد أخضعت أبيات خسرو عناصر التأثير في نص النهج هنا إلى عملية إعادة تشكيل تعبيرية، حيث اعتمدت الحِجَاج بالتقابل

---

١ . عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: د. عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق ـ الدار البيضاء/ بيروت، ٢٠٠٦: ٩٦.

التمثيلي بدلاً عن الحِجَاج بالشاهد الحي الـــذي اعتمـــده نـــص النهج.

وفي نمط آخر من توظيف نصوص نهج البلاغة يعمد الشـــاعر إلى استخدامٍ أسلوبي يقترب من الأصل ويكاد يطابقه، فحين يتخـــذ نص النهج مستوى تعبيرياً إبلاغياً، مبرِّزاً إياه بشكل أكـــبر مـــن المستويات الأخرى، يحرص الشاعر على توظيف المستوى ذاته في التعبير الشعري.

من ذلك نقرأ:

«الطريق إلى الخالق مَنْ يعرفه ؟ النبي النبي أودع ذلك السر لدى حيدر»[١].

وقوله:

«موضع أسرار النبي كان علي فاقصد موضع الأسرار»[٢].

وكذلك قوله في قصيدة أخرى:

«غيرعلي من كان بعد الرسول ذلك الـــذي جاءتـــه الخلافـــة صاغرة»[٣].

---

١ . الديوان: ٣٠٨.
٢ . الديوان:٢١٤.
٣ . الديوان: ٣٠٢.

يتجلى في هذه النصوص تأثرها الكبير بمقطع من خطبة للإمام (عليه السلام) يبين فيه منزلة أهل البيت (عليهم السلام) السلام، عامةً، ومنزلته خاصة:

«تالله لقد علمت تبليغ الرسالات، وإتمام العِدات، وتمام الكلمات. وعندنا أهل البيت أبواب الحكم و ضياء الأمر.»[1].

وقوله (عليه السلام): « موضع سره و لَجَأُ أمره و عيبة علمه وموئل حِكَمه، و كهوف كتبه..»[2].

على أن المستوى الشعري الذي يتماثل فيه طرفا المقارنة (المؤثر والمتأثر) يقوم على فِعلَي الإضمار والتلميح، ففيهما بيان إبلاغي حول معرفة أهل البيت وعلمهم و خصوصية منزلتهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، يكمن خلفه معنى مضمر يحمل دلالة أقوى وأكبر تأثيراً في تحقيق الفكرة التي تريد هذه النصوص تحقيقها، وهو معنى أحقيتهم في خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد تكفلت المعاني الجزئية التي تضمنتها النصوص بالتلميح لهذا المعنى المضمر.

وفي موضع آخر نقرأ لخسرو قوله:

---

١ . نهج البلاغة:ج١/ ٢٣٣.
٢ . المصدر السابق: ج١/ ٢٩ ـ ٣٠.

«مثل هذا الياسمين و الورد في العالمين أين ينبت بغير أرض محمد؟»[1].

حيث نرى تأكيداً على المعنى ذاته، وتكريساً له، وهو ما يجسد تأثراً بمقطع من خطبة للإمام (عليه السلام) يقول فيه:

«نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، و مختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم»[2].

وكذلك قوله (عليه السلام) في موضع آخر:

«احتجوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة»[3].

على أن المقطع هنا يجاهر بما جاء مضمراً في النصوص السابقة عبر لغة استعارية، أريد منها أن تحيل على دلالة عقائدية، تتعلق بما هو أكبر من موضوع خلافة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ونلاحظ توافر النصوص في طرفي المقارنة على لغة موجزة ومعان مكثفة، وليس هذا الملمح الأسلوبي بطارئ على نصوص نهج البلاغة، فـ « الإيجاز واحد من المظاهر الشعرية التي تمثلت و

---

١ . الديوان: ١٢٩.
٢ . نهج البلاغة: ج٢١٥/١.
٣ . المصدر السابق:ج١١٦/١.

تجسدت في نصوص النهج وعكست مظهراً شعرياً أسلوبياً من المظاهرالأسلوبية القارة في الكتاب»[1].

لقد حافظت النصوص على توازن لغتها، على الرغم من أن طبيعة الموضوع والفكرة المراد تحقيقها وإيصالها إلى المتلقي تحمل قدرة كبيرة على استثارة ملامح المستوى الإنفعالي للتعبير، بشكل يكون فيه النص ــ فيما لو تحقق ذلك ــ متخماً بالتفاصيل، ومعتمداً لغة يغلب عليها طابع الحجاج وآلياته. غير أن المستوى الإنفعالي في هذه النصوص ظل في حدود ما يحيل إليه في المدونة التاريخية، وما فيها من تفاصيل وملامح بيئية شكلت حاضنة للنصوص.

ومن نماذج التأثر الأخرى نقرأ:

«لا يعينك على هذا الشيطان سوى الطاعة والحب لآل ياسين اعطف قلبك على محبتهم حاصرهذا الشيطان وقيده في شريعة النبي الناصعة لا ملوك غير آله »[2].

---

١ . المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر: نوفل أبو رغيف، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد، ط١، ٢٠٠٨: ١٥٨.

٢ . الديوان: ٥٠.

يعمل هذا النص على سمتي الإضـــمار والإلمـــاح في المســـتوى الشعري للتعبير؛ فما يضمره النص هو النهي عن انتهاج الطـــرق المختلفة غير طريق آل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهـــذا النهي يقف ظلاً للأمر الصريح بالتمسك بهم.

وفي النفي الأخير من النص (لا ملوك غير آله) تلميح يكاد يخرج عن حدوده. أما إذا توقفنا عند المستوى الانفعالي للتعبير في النص فإننا لا نستطيع فصله عن انتمائه لبيئة الجدل الكلامـــي حـــول المذاهب والعقائد التي عاش فيها خسرو وكتب نصوصه تحـــت تأثيرها.

وفي نص النهج الذي تأثرت به أبيات خسرو نقرأ:

«فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمَّةُ الحق و أعلامُ الدين وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحســـن منـــازل القرآن ورددهم و رِدوهم ورود الهيم العِطاش»[1].

وهنا لا نجد للإضمار حضوراً، بل على العكس فإن لغة الـــنص صريحة يبرز فيها المستوى الإنفعالي بكل وضوح عـــبر تســـاؤل إنكاري متعجب، من طرق التيه البعيدة عن طريق العترة.

---

١ . نهج البلاغة: ١٥٤.

وواضح كيف أن النص الشعري في تمثله لمعاني نص النهج عمد إلى تفعيل المستوى الشعري معتمداً سماته، لكي يرفع من شعرية التعبير ويعضد من قوة المعنى المراد إيصاله إلى المتلقي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية:

١ ــ أدب الشريعة الإسلامية: د. محمود البستاني، مؤسسة السبطين (ع) العالمية ــ إيران، ط١، ١٤٢٤هـ

٢ــ الأدب الفارسي في أهم أدواره و أشهر أعلامه: محمد محمدي، منشورات طوس ــ طهران، ط٢، ١٩٩٥

٣ــ عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: د. عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق ــ الدار البيضاء/ بيروت، ٢٠٠٦

٤ــ في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي: د. محمد عبد السلام كفافي، دار النهضة العربية ــ بيروت، ط١، ١٩٧١

٥ــ قضايا الشعرية: رومان جاكوبسون، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، د. ت.

٦ــ المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر: نوفل أبو رغيف، دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد، ط١، ٢٠٠٨

٧ ــ نهج البلاغة: شرح الشيخ: محمد عبده، مطبعة كرم ومكتبتها ــ دمشق، د.ت

ثانياً: الكتب الأجنبية:

١ــ بركزيده قصايد ناصر خسرو: د. غلام محمد طاهري مباركه، سازمان مطالعه وتدوين كتب علوم إنساني دانشكاه (سمت) ــ تهران، ١٣٨٢ ش،:١٣

٢ــ ديوان أشعار حكيم ناصر خسرو قباديانى: تصحيح: مجتبى مينوي، مهدي محقق، دانشكاه تهران ــ تهران، مؤسسه انتشارات، ١٣٧٨

٣ــ سَفر نامه: ناصر خسرو علوي، تر: د. يحيى الخشاب، تصدير د. عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة، ١٩٩٣.